السيف

ريهام عبد الله المستادي
ماجستير تاريخ إسلامي (مملوكي)
محررة بجريدة المدينة (جدة)
riham_almistadi@hotmail.com

"وكل من معه سلاح لا يستغني عن السيف، وصاحب السيف يستغني عن جميع السلاح"

وقف السيف العربي والإسلامي على مر التاريخ شريفاً مدافعاً عن الحق ناشراً لعدالة السماء التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه.

فقد كان للسيف مكانة رفيعة وعظيمة بالنسبة للإنسان منذ أقدم العصور، فقد منحته هذه القطعة من السلاح العظمة والإجلال فبرع بالتفنن في صناعتها وزخرفتها وصياغتها، بل زاد وطور من أداة فاعليتها. وتفنن الإنسان العربي في استخدامه وتعددت الأسماء المختلفة التي أطلقها على هذه القطعة العزيزة عليه، وللسيف فخامة وقوة وعظمة تأتي من حامله.

ومن السيوف المشهورة في التاريخ سيوف الرسول محمد (ﷺ)، فقد كانت له جملة سيوف منها البتار والمعصوب والمخذم والرسوب والحتف والعضب الذي كان قد أعطاه لسعد بن عبادة. أما أشهر سيوف الرسول فهو حتما ذو الفقار الذي غنمه في معركة بدر، وكان للعاصي بن منبه السهمي بن الحجاج، فبات سيفه المفضل الذي لا يفارقه في حرب من حروبه، وسمي (ذو الفقار) لحزوز مثل فقرات الظهر كانت في وسطه، وقد انتقل ذو الفقار سيف النبي المختار بعد وفاته إلى علي بن أبي طالب ثم صار لبنيه، ثم انتقل ذو الفقار إلى المعتز المتوكل، ثم صار من بعده إلى المهتدي بالله، وقيل أنه تحول أخيرا إلى الخلفاء الفاطميين.

وذكر أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كان يتوشح بالسيف في عنقه بواسطة حمالة على الطريقة العربية المتبعة في ذلك الحين، و لم يصلنا من دولة المماليك إلا ما روي عن الظاهر بيبرس فقد قيل أن السيف الذي كان يتقلده هو أصلاً سيف الخليفة عمر بن الخطاب، وكان يحمله على الطريقة البدوية أي أنه كان يعلقه على الجانب الأيسر من نطاق يمر فوق الذراع اليمنى.

ومن أهم أسباب ضياع السيوف الإسلامية في العصر المملوكي أن أسلحة السلطان أو الأمراء كانت توزع على خاصته بعد وفاته، فكانت تبعثر على الرجال ثم تباع أو تضيع وتندثر، كما أنشئ في هذا العصر سوق لبيع الأسلحة. وقد اشتهرت عدة بلدان في صناعة السيوف منها الهند في صناعة السيف المهند، كما كان لدمشق باع كبير في صناعة السيوف فللسيف الدمشقي تاريخ وشهرة.

بداية صناعة السيف

لم تكن صناعة السيف في البداية تتم بالحديد الخالص بل كانت بالحديد والبرونز معاً منذ العام ١٦٥٠ ق. م، وأقدم أداة حديدية مشكلة بالطرق عثر عليها وأمكن تأريخها هو خنجر صنع في مصر القديمة قبل سنة ١٣٥٠ق.م .

وقد توالت صناعة الأدوات الحربية من الخناجر والسيوف بعد هذا التاريخ، وتطورت صناعتها وأشكالها وانتشرت انتشارا واسعاً في معظم البلدان والأمصار خصوصاً بلدان الشرق الأدنى كبلاد فارس وبلاد الشام والعراق والحجاز ومصر، وفي بلاد الأندلس بعد أن فتحها المسلمون، وكان أشهر صانعي السيوف خباب بن الأرت في الجاهلية وفي الإسلام.

وقد نقل لنا التاريخ أحداث مهمة عن السيف والمبارزات، و لم يفقد السيف تاريخه في عصرنا الحالي فللمبارزة الرياضية أهمية فلعبة الشيش والمبارزة إحدى فعاليات الألعاب الأولمبية، وكذلك للسيف مكانة في الفنون والأفراح فهناك رقصة السيف الشهيرة، وهناك الألعاب السحرية بالسيف عندما يقوم الساحر ببلع السيف، وهناك طقوس الدراويش بالسيف وإدخاله في البطن، أما في الاحتفالات الرسمية واستقبال الملوك والرؤساء فلابد من ظهور السيف مرفوعا بيد رئيس التشريفات.